(c) www.nidaulhind.com

ISSN: 2321-7928

الجامعة الملية الإسلامية

(حلقات متسلسلة لترجمة كتاب "قصة الجامعة" لعبد الغفار مدهولي)

﴿4﴾

- عبد الغفار المدهولي[1]

ترجمة من الأردوية: د. هيفاء شاكري[2]

السنة السابعة

من أغسطس 1926م إلى يوليو 1927م

مرت سنة كاملة على وجود الجامعة في قرول باغ، وكانت هناك خطط جديدة بدأ العمل على اثنتين منها. الأولى تأسيس فرع لمدرسة الجامعة في صدر بازار في دلهي، وقد ساعدنا في ذلك صاحب شركة ك.ب.سعيد السيد شجاع الرحمن. وأصبح الحافظ فياض أحمد مسؤولًا عنها. وأنشئت فيها كذلك المدرسة المسائية. وتحوّلت الإدارة فيما بعد إلى السيد أحمد علي آزاد. وقد تطوّرت المدرسة تحت رعايتهما. والخطة الثانية كانت إصدار مجلة "پيام تعليم" (رسالة التعليم). وكانت الحاجة إلى إصدارها لإطلاع الناس على تفاصيل ما يحدث في الجامعة وبيان أهدافها. وبالتالي تحصل الجامعة على المساعدات المالية ويزداد عدد الطلاب. فبدأ إصدارها في أبريل 1926م تحت إدارة السيد عابد حسين، وكانت تصدر كل

---

[1] كان مدرّسًا في مدرسة الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي

[2] مشارك في التحرير وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي

(c) www.nidaulhind.com

أسبوعين. وبدأت تنشر فيها الأوضاع التعليمية وفهرس التبرعات وأحوال الجامعة.

ومع أنّ صفحات المجلة كانت قليلة في البداية إلا أنها زادت فيما بعد، وبدأت تنشر فيها مواد مفيدة وممتعة للأطفال. وكذلك بدأت فيها مناقشة الحالة التعليمية في البلد من وجهة نظر الجامعة. وسلمت إدارتها بعد فترة وجيزة إلى السيد سعيد الأنصاري. وأصبحت المدير التنفيذي. فقد تم تعيينا نحن الاثنين مع شفيق الرحمن في نفس السنة.

وحتى نتمكن من تغطية نفقات المجلة، كان من الضروري أن يكون لها من يشترك في شراء أعدادها. فتم الحصول على فهارس بأسماء الطلاب المتخرجين، والمتبرعين للجامعة، ومن كان يقوم بشراء الكتب من المكتبة، وأشخاص معروفين، وأرسلت لهم نماذج المجلة ورسائل لتشجيعهم على الاشتراك في المجلة. وفي نفس الفترة قام بالتعريف بها أفراد ممن كانوا يجمعون التبرعات للجامعة من المناطق المختلفة بالهند. وكانت أمور المجلتين في تلك الفترة مستقلة عن المكتبة.

وقد وزعت المسؤوليات حسب قدرات كل شخص تحت النظام الجديد، فأصبح الدكتور عابد حسين مسؤول قسم التصنيف والتأليف، أما السيد عبد العليم الأحراري والسيد سعيد الأنصاري فبدآ العمل كباحثين في الأكاديمية. وقد فكّرا في طريقة تجعل الناس يتشوقون لقراءة الكتب الجديدة والمشاركة في المجلتين "رسالة جامعة" و"پيام تعليم"، فأعلن عن منح كتب جديدة ومفيدة كلّ ثلاثة أشهر لكل من يدفع أربعًا وعشرين روبية سنويًا. وترسل له "رسالة جامعة" مجانًا، و"پيام تعليم" بأسعار مخفضة. وتغير اسم القسم من التصنيف والتأليف إلى أردو أكاديمي. وهكذا أصبح نظم المجلتين مسؤولية الأكاديمية.

(c) www.nidaulhind.com

وحتى يتعلم الطلاب أشياء كثيرة من أساتذتهم، أنشئت طريقة "النظام البيتي"، فأصبح كلّ أستاذ مسؤولًا عن خمسة عشر طالبًا. وكان هذا الأستاذ يهتم بملابس هؤلاء الطلاب ونظافتهم وأمورهم، ويساعدهم في أعمالهم المنزلية. ويقوم بإصلاح مقالاتهم التي كانوا يلقونها في المسابقات والبرامج الخطابية. وتغير هذا النظام بأن تم تأجير عدة منازل بدل منزل واحد، ووضع في كل منزل ثلاثون طالبًا وأستاذان. وأصبحا مسؤولين عن كل أمور السكن، أما الطريقة القديمة فاتبعت للطلاب القادمين من المدينة الذين لم يكونوا من طلاب السكن.

كان البروفيسور مجيب مسؤولًا عن عدد من الطلاب، وكان السيد مجيب يسكن مع أستاذ من مدراس يدعى رام شندرن. وكانا يتشابهان في كثير من صفاتهما، متعلمان ولكن بسيطان، مجتهدان مع خلق كريم. وكانا يعاونان الطلاب معاونة الأم لأولادها. فكان البروفيسور يلعب الغيتار للطلاب للترفيه عنهم، أما السيد رام شندرن فكان يشاركهم في مناقشاتهم. ويبين لهم أمورًا كثيرة ترتبط بالاتحاد بين المسلمين والهندوس. وقد شارك مرة في الصلاة، فسأله الطلاب عن السبب بالرغم من كونه يلتزم بالديانة الهندوسية. فكان رده: "إن من يعبد إلهًا واحدًا ولا يعبد أصنامًا، فلا مانع من مشاركته العبادة، وأنتم في صلاتكم تقولون إن الله كبير وطاهر و...، ولا أحد ينكر هذا.

وحاولا أن يقدّما أمام طلاب الجامعة طريقة العيش، فكانا يؤديان جميع أعمالهما بنفسيهما، حتى الطبخ كانا يقومان به بنفسيهما. وعندما غادر السيد رام شندرن، أصبح السيد مجيب وحيدًا، وصارت طريقة معيشته مثل الآخرين. وعندما انفصلت بنايات السكن لم تعد لجمعية الكمال تلك المكانة المركزية، بل صارت البرامج تعقد في كل سكن على حدة تحت إشراف الجمعية الأدبية. وكان الطعام يطبخ في مطبخ واحد ولكنه كان يقسم، ثم صارت المطابخ منفصلة من السنة التالية.

(c) www.nidaulhind.com

احتفلت الجامعة بعيد ميلادها السادس، وحضر الحفل أغلب تجار وكبار المسؤولين من مدينة دلهي. وأعلن أمير الجامعة الحكيم أجمل خان لأول مرة عن السياسة التعليمية الخاصة بالجامعة. وقدّم مدير الجامعة الدكتور ذاكر حسين تقرير السنة الكاملة. وشدد الدكتور الأنصاري في خطابه على أن الجامعة مؤسسة وطنية تعليمية منفصلة عن أي حركات وفرق مختلفة. وقدّم الشاعر صفي اللكنوي قصيدة جديدة في مدح الجامعة والدعاء لها بالتطور والتقدم.

شيء مهم آخر هو الحفل السنوي للألعاب والتمارين الرياضية. كان اجتماع الجمعية قد عقد في مارس، والذي رأسه وتهل بتيل. ووجهت الدعوة لأعضاء الجمعية بأن يحضروا لمشاهدة المسابقات الرياضية للطلاب، والتمس من وتهل بتيل أن يقوم بتوزيع الجوائز. وكان السيد كيلات قد درّب الطلاب على ألعاب مختلفة، وتمت طباعة البرامج كذلك. وحضر مئات الضيوف من المدينة. وكانت الألعاب ممتعة، شارك السيد عبد الباقي ذو الوزن الثقيل في لعبة جر الكيس. ولم يستطع أحد أن يحركه من مكانه، بل كان كل من حاول يسقط بنفسه. وفي النهاية بقي السيد نبي أحمد الذي كان بنصف وزن السيد عبد الباقي وقد بذل جهدًا قبل أن يهزمه. ونظم كذلك سباق للأساتذة، وقدّم صاحب المركز الأول جائزته للدكتور ذاكر حسين.

كان الأسبوع الوطني يحتفل به كل عام، ولكن وبفكرة قدّمها السيد رام شندرن بدأ الاحتفال به بشكل مميز. وكانت مناسبته أن الإنجليز رفضوا منح الاستقلال للهند بعد الحرب العالمية عام 1918م ونقضوا عهدهم. وتجمع عدد كبير من سكان البنجاب للاحتجاج على ذلك في حديقة جاليانوالا بمدينة أمرتسر في أبريل عام 1919م. ولكن الحاكم الإنجليزي أمر بإطلاق النار عليهم، مما أدّى إلى استشهاد مئات منهم، وانتشرت الفوضى والاضطرابات في الهند. وأظهر السكان غضبهم في أماكن مختلفة بتنظيم مسيرات الاحتجاج على نطاق واسع. وازدادت

(c) www.nidaulhind.com

حركة الاستقلال قوة منذ ذلك الوقت. وذكرى هذا اليوم يحتفل بها كأسبوع وطني من 6 إلى 13 أبريل كل عام. وفكر المسؤولون بطريقة جديدة للاحتفال بالذكرى غير عقد الاحتفال ثم نسيان أثره. فبدأت الجامعة بمنح الإجازة للحراس والنوادل والطباخين السقائي الماء والفراشين. ثم يقوم الطلاب والأساتذة بجميع الأعمال بأنفسهم، وقد منح الخدم الإجازة. وكان الطلاب يقسمون إلى جماعات، وكانت المسؤوليات تختلف لكل جماعة من الحراسة الليلية، والنظافة الصباحية، وتنظيف الغرف والصحن بشكل شامل، وجلب الماء، والطبخ، وشراء الأغراض من السوق. وكانت جماعة من هؤلاء تذهب إلى القرية المجاورة لتنظيف أزقتها. وكانت تتم دعوة الخدم وقت الطعام فيجلسون مع الطلاب ويأكلون معهم. وكان الهدف من هذا أن لا يعتبر الخدم أقل منا مرتبة. ولم يكن الطلاب يعتبرون هذا عيبًا، ففي النهاية هؤلاء هم الخدم الذين يقومون بجميع أعمالهم ليلًا ونهارًا ويقدّمون لهم كل أنواع التسهيلات والراحة. وكان الطالب يتعلم من هذه الطريقة أنه يمكنه أن يقوم بجميع الأعمال إذا دعت الضرورة إلى ذلك ويتعاون مع الآخرين في كل الأعمال الصغيرة والكبيرة.

وكان الجميع ينشغل بعمله، وإذا حضر شخص من خارج الجامعة لرؤية هذه الأشغال فلا يمل من الساعات. كان هذا الانشغال يستمر إلى نهاية وقت الغداء. وفي المساء تعقد جلسة لمناقشة حوادث حركة الاستقلال الماضية والحالية، وتقدم القصائد الوطنية. ثم يقدم رئيس كل جماعة ما قامت به الجماعة من الأعمال طوال اليوم.

والحق يقال إن السيد شفيق رحمه الله كان يهتم بهذه الأمور، وكان يدخل الحماس إلى قلوب الجميع. وإن كان أستاذ من الأساتذة لا يرغب في العمل، كان يذهب بنفسه إلى غرفته ويبدأ بتنظيفها.

(c) www.nidaulhind.com

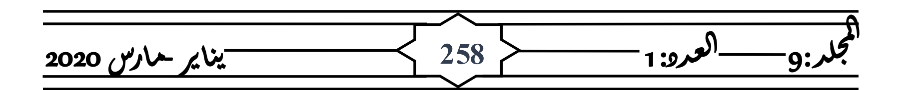
وقد أصبح الطلاب الآن يقومون بهذه الأعمال بطريقة مختلفة، فيجهزون مشاريعهم قبل أسبوعين، ويدرسون كذلك. مثلًا يتعرفون على أحوال الشخصيات البارزة في الماضي ويسجلونها. ويطالعون كتيبات تشتمل على قصص الحياة لكبار الشخصيات. فيكملون بذلك عمل اللغة الأردية والتاريخ. ويرسمون الخرائط ويحددون عليها أهم الأماكن التاريخية. فهذه مادة الجغرافيا. أما أساتذة الرياضيات فيطلبون جمع الأعداد والإحصائيات، مثلًا الدخل والإنفاق في الدولة، مقارنة سكان ولاية معينة بمساحتها، ويأخذون إحصائيات مختلفة من قرية معينة لتوضيح المجالات التي تحتاج إلى الإصلاحات، مثلًا إذا كان عدد المتعلمين قليلًا، فذلك يعني حاجتهم إلى التعليم، وإذا كان عدد العاطلين عن العمل كبيرًا فهم يحتاجون إلى توفير فرص العمل وهكذا.

واحتفل في نهاية السنة بالجلسة الختامية لـ"المدرسة المسائية"، فقدّم الطلاب خطاباتهم، وحصلوا على الجوائز. وكان من بين الأساتذة السيد محمد مجيب، وقد عقد الامتحانات الدكتور ذاكر حسين وزملاؤه الآخرون.

تغير في هذه السنة موعد بداية السنة الدراسية من شهر يوليو إلى شهر أغسطس، وأصبحت الإجازة الشتوية في منتصف العام الدراسي.

وحدثت في هذه السنة حادثة محزنة وهي وفاة شاه افتخار حسين أحد طلاب الجامعة وذلك بعد مرض لمدة قصيرة. وكان طالبًا في الجامعة منذ أيام عليكره، وكان مرتبطًا بالجامعة فيفرح لسمعتها الطيبة ويحزن إذا حدث لها مكروه يعيبها.

كان رأي بعض الكبار أن تغلق الجامعة، وذلك قبل انتقالها إلى دلهي. وكانت هذه فترة الإجازة. فعندما سمع افتخار رحمه الله بهذا، كتب رسالة إلى مدير الجامعة السيد عبد المجيد خواجه، والتمسه أن لا يتم إغلاق الجامعة، وأنه مستعد لتقديم كل مساعدة ممكنة، وأنه سيفعل كل ما بوسعه بإذن الله للإبقاء على



(c) www.nidaulhind.com

الجامعة واستمراريتها. وكان يساعد الطلاب المستحقين بأموال كانت تأتيه من منزله. وقد أنشأ الطلاب على اسمه "الصندوق التذكاري لشاه افتخار". وبنيت كذلك بعض فصول المركز التعليمي على اسمه.

وكان السيد أنور خان من مدراس يقوم بخدمته بطريقة تستحق الثناء والإعجاب.

عقد اجتماع للمجلس التأسيسي في منزل الحكيم أجمل خان في 17 مارس 1927م، والتي قدّمت فيها مسودة دستور الجامعة الملية الإسلامية. وتم اعتمادها بعد مناقشتها من قبل الأعضاء. وتم الاتفاق كذلك على أن ترتب القوانين والضوابط الضرورية ضمن الدستور، وأن يتم إدراج الجامعة وتسجيلها. ويبدو أنه لم يتم العمل بهذا الدستور الجديد للحاجة إلى قرار لتأسيس مجلس الأمناء مع التنظيم الجديد، والذي يتم فيه حلّ المجلس التأسيسي ونقل صلاحياته وحقوقه إلى مجلس الأمناء. ولذلك عقد اجتماع آخر للمجلس التأسيسي بعد سنة في 29 من أبريل 1928م، وتم فيه اتخاذ قرار بحل المجلس التأسيسي بعد نقل صلاحياته. وسيأتي ذكره مفصلًا في سرد السنة القادمة.

كانت هذه السنة حافلة بقدوم الضيوف والشخصيات. ففي البداية حضرت السيدة سروجني نايدو، والسيد أبو الكلام آزاد. وأثناء تقديم الشاي قام طالب واقترب من سروجني نايدو قائلًا: "تحدث اضطرابات كثيرة هذه الأيام، وأنتم لا تقومون ببذل المساعي للتقريب بين الهندوس والمسلمين، عندما أكبر سوف أقوم بهذا". صفق له الحاضرون وقامت سروجني نايدو بضمه وقالت: "أمدح فيك هذه الجرأة، وسنعمل كل ما بوسعنا حتى تكبر".

في تلك الفترة لم تكن حركة التحرير قوية مثلما كانت من قبل، وكان البرود قد ساد على المدارس القومية أيضًا. ولكن بسبب دور الدكتور ذاكر حسين وأصحابه

(c) www.nidaulhind.com

دبّت الحياة في الجامعة. فعندما حضر رئيس حزب الكونجرس سري نواس آينكر إلى الجامعة وشاهد حماس الطلاب، قال: "لقد خدمت المدارس القومية الأخرى، لكن أشعر بالحياة هنا. أتمنى أن تتوطد أسس هذه المدرسة".

وحضرت هذه السنة صاحبة السمو السلطانة جهان بيغم. عندما علم الطلاب بقدومها، بذلوا جهودًا كبيرة ليلَ نهار لتزيين المكان والسكن، وقد فرحت السلطانة بطريقة عيش الطلاب. وفي كلمتها خاطبت أصحاب الجامعة وكأنها تخاطب أسرتها. وكانت تسمي الطلاب "أبنائي". وتمنت أن توجه الجامعة اهتمامها إلى تعليم الفتيات كذلك. والحقيقة أنها سعت دائمًا وبذلت الجهود لتعليم البنين والبنات طوال حياتها.

زاد الاهتمام بتحسين الحالة المالية للجامعة، وتم تنظيم الوفود لجمع التبرعات، وكان وفد برئاسة كل من الدكتور ذاكر حسين، والشيخ عبد الحق، وخواجه عبد الحميد قد زار حيدرآباد في عطلة الصيف الماضي. ونجح في مساعيه بسبب تعاون النواب أكبر يار جنك، وحيدر نواز جنك، ومسعود يار جنك.

بينما ذهب الوفد الثاني برئاسة خواجه عبد الحي إلى كاتهياوار ومادهيابراديش. كما زار الدكتور ذاكر حسين مع السيد عبد العليم أحراري والسيد حامد علي خان منطقة بهار في الإجازة الشتوية. وهناك اجتهد الشيخ شفيع داؤودي في جمع تبرعات جيدة للجامعة.

وكان عمل هذه الوفود لا يقتصر على جمع التبرعات فقط، إنما كانوا يقومون بتعريف الناس بالجامعة، وبيان أهدافها، وترغيب الشعب للتعليم القومي، وتبادل الآراء مع أصحاب العمل التعليمي كذلك.

